الثورة ALTHAWRAH
Friday : 5 Shaban 1434 > 14 June > Issue No. 17739

(غبار.. لم تنته من كتابته الريح) للشاعر زياد المحسن:

قراءة عابرة لفلسفة الحب والحضور

> الابداع دائما يعبر عن نفسه بأساليب ووسائل مختلفة، وها هو ذا المبدع المتألق دوماً محمد القعود صاحب فكرة إنزال الثقافة من أبراجها العليا إلى المقاهي والأسواق الشعبية بدءاً بمقهى مدهش الذي احتضن قبل أكثر من أربعة أشهر فعالية مع مبدع آخر من مبدعي المستقبل الذي بدأ بشروقه فجراً مع شاب يتلمس طريقه المحفوف بالمصاعب، وولج إلى الصباح مبدعاً .. جميلاً، وهو المبدع زياد المحسن الذي تلا للجمهور المحتشد ما تيسر من جمالياته وكنوزه المرجانية واللؤلؤية وأحلامه الوردية النبيلة في ديوانه الثاني.. غبار.. لم تنته من كتابته الريح. وللفعالية روعتان.. روعة المكان وطبيعته الشعبية، وروعة الالقاء ومخارج الحروف.. والمنتدى بحد ذاته بداية للتأصيل. وإعطاء الثقافة مضمونها الشعبي.

عبدالرحمن سيف إسماعيل

أي أنّ شاعرنا زياد أبدع مرتين:
الأولى عندما كتب القصيدة، والثانية عندما ألقى القصيدة بأسلوب الفنان المتميز الأصيل الذي استطاع بوعيه وإدراكه أن يصطاد بفرشته السحرية جمالية الكون وبعيون الطبيعة ذاتها والإبداع والتألق.
بإلقائه المتميز أعاد خلق القصيدة، والقصيدة عنده عبارة عن فسيفسات، وصور جمالية متصلة بالمكان والزمان.. تحمل مضامين فلسفية ووجدانية رائعة.
استطاع شاعرنا بوعيه الكبير، وتجربته الصغيرة أن يختزل فيها تاريخ القصيدة العربية منذ أن ولدت في رمال الصحراء إلى أن أصبحت منتجاً عصرياً تتعاطى مع أكثر الأدوات تقنية وتقدماً.
وقد أحسن الأديب ،الناقد عبدالرقيب الوصابي اختزال تجربة هذا الشاعر المتألق. بأعتباره مجدداً للمفردات الشعرية والجمالية، وخالق للجمال الوجداني فقد استطاع توضيف مفردات قرآنية وأخرى في القاموس الشعري العربي في سياق النص الشعري مستفيداً من ثقافة العصر. واستطاع الوصابي بحسه وحدسه الناقد وأفقه الواسع الذي أذهل الحضور أن يكشف عن جذور إبداع المحسن المتصل بإبداع »المتنبي) وبالمثل أعتبر الناقد علوان مهدي الجيلاني أن هذا المبدع ظاهرة ابداعية أصيلة لها اسلوبها ومفرداتها الجديدة.
تعامل مع مفرداته اللغوية بجمالية فلسفية متميزة. فالشاعر المحسن فلسفته الخاصة واسلوبه المتميز.. مزج ثقافته بجمالية الطبيعة الخلابة.. جمالية ريمة وتهامة وصنعاء وغيرها.
لايختلف المختلفون حول هذا المبدع بمختلف ثقافتهم وتوجهاتهم قدمه الدكتور / عبدالعزيز المقالح في مقدمة ديوانه على أنه واحد من المبدعين الشباب الذين يمكن القول بثقة تامة إنهم ولدوا شعراء.

فعلاً أحسن المحسن استخدام الحروف والكلمات.. وأحسن تقديم أفكاره بلغة سهلة ومحببة.. وأنا أحببت الأستماع لها في فمه.. فقد أرقصني طرباً لأن صديقي واستاذي المحسن أضاف اليها حيوية وجاذبية.. كانت العبارات تتراقص في فمه كأغصان البان طرباً لشدو العصافير وهمسات النسيم ولسعات الندى جعلني احب الشعر أكثر وأعشقه كما تعشق الموسيقى القوافي، وكما عشق الندى فن الألتصاق بالصخور.. استطاع استاذنا المحسن وبجدارة أن يحفر نفسه في الصخر الأصم مستقبلاً زاهياً بعيداً عن متطفلي الإبداع ومغتصبي الكلمات والثقافات، ومدلولاتها الجمالية.. خلق له لغة خاصة مكنته من الولوج الواثق إلى عالم الإبداع والغوص في سحر الكلمات، وأعوار الإبداع الإدبي والثقافي والفكري ها هي ذي لغة الغبطة والنشوة.. لغة الإحساس بالوجود والجمال والحضور الوجداني، لغة الزاهد المتعبد في محراب أصحاب الطريقة المقتربة من الذات المقدسة.

ها أنت عدت فهلا عادنا الأملُ
لعلنا ببياض الحلم نكتحلُ
ها أنت عدت وقد جفت صحائفنا
وعاد يجزُّ في أشجاننا الأزلُ
ها أنت عدت وما يدريك أن بنا
جرح تلاشت على أعتابه المقلُ
ياعيد جفت بكف الغيب رغبتنا

ونحن في ظمأ الأحلام نغتسلُ
ما أجمل هذه الكلمات وما أقواها تأثيراً، وما أجمل آولئك البائسون الذين احتشدوا من حوله ليستمتعوا بصدى هذه الكلمات، وبروعة الإلقاء وسحرها الجمالي.. كان جميعهم يقفون متأملين في سحر العبارات، وطلاوتها.. إنها لغة القلب والوجدان.. تعلو ولا يعلى عليها.
تتمطى فيتسع افقها الموسيقى.. رقص على ايقاعها هؤلاء البسطاء طرباً.. صفق لها الجميع.. فاختلطت دوي الكلمات بدوي التصفيقات، وهمهمات الإعجاب والاستحسان.

أشبعت من لحم القصيدة خيبة
الماضي ومن عرق النجوم الشهدا
وبقيت أسبح بين آنية الظما
وأجر تابوت الهزائم مجهدا
وأضيع في غبش الحداثة رغوة
الماضي لأخلقه لصبحك مولدا

عبرت قصائده كاملة عن صدى الحنين والأشجان التي وجدت في صورة طفلة واتسعت واستطالت وفاضت في صدره فقد أصبح هذا الشاب الصغير الوسيم وبلا منازع خالقا للإبداع عملاقا فقد عبر بصدق عن دفئ الكلمات وعن عبقرية فذة خارقة للعادة تخترق فمه قوية فتشق صدورنا كالبرق تنتزع من صدره جمالا رائعا بحركتها الإيقاعية الجميلة.
سكنت العبقرية صدر هذا الفنان المتميز واحسنت أنامله القطنية الناعمة رسم معالمها عشقه الجمال فسكن داخله وشكلت أنامله لوحة فنية متناهية الرقة والجمال.

وقف وسط الحضور بشموخ في جبال ريمة وعنفوانها وجمالها نافضا عن قدميه الغبار والرمال مضى إلى المجد شامخا وحيدا في الدروب الوعرة فتفتقت من تحته دروب التفوق والتألق حلق في فضاءات سهول ريمة وجبالها ووديانها وسبح في جمال بساطها الخضراء وجاب شواطئ تهامة من فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق يبحث عن موطئ الجمال وسحر الطبيعة عن دقائق الأمور وتفاصيل الحياة كأنه عالم جيولوجي يبحث بإحساس فائق عن كل ما هو جميل ورائع في عمق الأرض وكنوزها الجميلة.
كشفت روائعه عن عمق العلاقة الوجدانية التي ربطته بالطبيعة والإنسان طاف في تاريخ الوطن ومناطقها من شاطئ إلى شاطئ ومن قرية إلى أخرى من جبل إلى آخر غائداً في التاريخ البشري وموروثاته التقليدية والعقائدية استوعبت روائعه الطبيعة بكل تناغماتها وتداخلاتها السماء والأرض والجبال والوديان والشواطئ والصحاري والشمس والقمر والشروق والغروب والغسق والأصيل يسجل اكتشافاته للطبيعة الزاهية بعبقرية الرجل الواثق أحب الأرض حبا هائلا وأحب الإنسان أحب البحر مده وجزره سكونه وضجيجه أمواجه وألوانه أحب عواصف البحر وسكون الليل زمجرة السماء ورعودها وظل يراقب تدافع الكلمات تارة في المد وتارة في الجزر تتدفق من فمه طباقا وجناسا متسخدما الجدل » الديالكتيك« والمترادفات بمهارة عالية فيقول:

وجه القصيدة في صحرائك احترقا
ورغبة البوح ماتت داخلي ارقا
لا تصلبيني على جذع الغياب فإني
عاشق مات في أوجاعه غرقا
لا تغربي اطفأتني الريح يا امرأة
جفت خطى الغيم في صحرائها قلقا

ويقول في مكان آخر من القصيدة ذاتها:

يراوغ الليل انفاسي التي ذبلت
كما يراوغ نهد العانسي الشبقا
تعبت امشي على عكاز اسئلتي
لا الفجر أوقد مشكاتي ولا انبثقا
وحدي اقاسم هذا الليل خيبته
واجتلي من بقايا وجهه الطرق

كلمات دافئة غيوم تتلاحق صور لها بريق وصدى كبريق وصدى البرق والرعد.
كان الشاعر الفنان المحسن يتلو علينا ما تيسر من خلقه وابداعاته رابض في عمق الكلمات في جوهر الحرف يتأمل بصمت ملاحظاته كأنه يتابع المشهد المسرحي الذي تحدثت عنه قصائده يدير موكب الكلمات في مسرح فضاءاتها ثم يعود إلى شاطئه مرساه محطته الأولى.
يرسم لوحاته بدقة ينثر مجوهراته التي رصع بها كلماته ولونها بمهارة لهذا جاءت هذه الكلمات صاعقة تهز مسامع هؤلاء الرجال من حولنا فيستمد منها خلوده إنها درر من مكنونات فرائضه من لفظ الخالق جلا وعلى فيقول المحسن في احدى روائعه:

لما غفا الثلج في محرابك اتقدا
فعدت اخصف من روحي له بلدا
ماذا ذرفت بكف البحر غير دمي
وهل اضعت سوى وجهي لديك شدا
اواه ياغربة الشوق المهاجر في
صمتي خذيني لأنفاس التراب صدى
خذي البروق التي عتقت بصبوتها
وكفكفي شجوها للبحر معتقدا
وشيعي فوق اكتاف الجفا وطنا
لغير عينيك يا شيماء ماسجدا

جاء زياد من محافظته الصغيرة ذات الثقافة الريفية الأصيلة دارسا لحالاتها ومسجلا لمناظرها بدقائق الأمور،، شكلت كلماته وعباراته الآلئ منثورة مرصعة بفلسفة الحب والحضور بقوافيه المرجانية وجد فيها معنى للوجود للحرية تركض طائعة لمنابع الابداع فيها انه العاشق للحياة والحب.

لأني عشقت الحياة ومت
ولم ادر اين سيقبرني الأصدقاء
لأني عشقت الحياة ومت

هذا هو زياد المحسن الناسك العابد الذي خضبت قصائده بروعة المشاعر والأحاسيس المتحركة بألوان القصيدة التي ترق وتعزف أوتارها أشجانا وشوقا حقا، المحسن جميل رائع بمشاعره وكلماته دمث بأخلاقه الرفيعة فنان أصيل يمسك على ذروة الفن النقي يدرك الجمال وتأثيره على النفس الناطقة بالإبداع.
تناول المنظور في الطبيعة ونسجه بأحلامه الرقيقة يحلق بخيالاته خلق الإبداع وحطم التقاليد والمشاهد الرتيبة الكسيحة كسر الجمود بكل أشكاله وألوانه ورماها في العاصفة أنه نبي الحرف رسول الحب والتسامح ها هو ذا يقول:

إني وناي الروح يشربه الظما
وجع على شوك الغياب يسافر
وكأنني طه خرجت مهاجرا
أواه من عينيك أين أهاجر
أنا مؤمن بهواك ما كفرت به
روحي وفي قلق اشتهائك سادر

وقف وسط الحضور بشموخ جبال ريمة وعنفوانها واخضرارها داعب الكلمات وتمرجح بها غمس أسفاره ببحار قوافيه وموسيقاها في الجمال في الدفء إنه بحق وجدارة أحب الجمال في ذروته وأحب ما جادت به قريحته ينات أفكاره إنه الإحساس بجمالية النص.. عشقته الكلمات وعشقه الجمال دون أن يغتصبه أو يتطفل عليه كما يفعل الكثيرون.
تعامل مع القصيدة كخالق لها وناقد كتب القصيدة بروح ناقدة مستوعبة خالقة للإبداع استخدم المنهج البردوني وأبدع فيه المذهب الجدلي ببراعته ووعيه الأصيل استخدم المتناقضات الشيء ونقيضه خلق الصورة المتناغمة وأصبحت القصيدة عنده عبارة عن صورة لفسيفا رائعة الجمال.
انه ناقد نقي وشاعر حساس روض الكلمات المتنافرة وأسقط عن نفسه هموما متتابعة أحب الناس كما أحب الإبداع كتب لهم ليحقق أحلامه في الخلود.
أحبهم حبا جنونيا فاستحق بجدارة شاعر الحب والإبداع.
أمضي أيها الصديق المبدع إلى الطبيعة التي وهبتك الإبداع ولازمتك في طفولتك وصباك عش لحظتك الجميلة واقتنص جمالها فأنت فارسها وخالقها وروحها المتقدمة حبا سرمديا.

وفاة الشاعر محمد الفتيح

توفي يوم أمس بتعز الشاعر الكبير محمد عبد الباري الفتيح عن عمر ناهز 74 سنة إثر صراع مع المرض وبعد رحلة إبداعية مميزة أثرى خلالها الساحة الثقافية بعطاء شعري وثقافي وبرز كأحد أعلام الشعر العامي والغنائي في اليمن .
والفتيح من مواليد العام 1938 في منطقة "معامرة قدس" محافظة تعز. درس في كتاتيب القرية، ودرس الابتدائية في عدن حيث كان والده يعمل هناك. اغترب بعدها في المملكة العربية السعودية وهو لا يزال فتى، وعمل حرفياً في "الجص" ثم في الخياطة؛ وفيها قرأ أمهات الكتب. درس الإعدادية في عمان، والثانوية في سوريا، وحصل على شهادة البكالوريوس والماجستير في الآداب والتاريخ واللغات السامية من "المجر".
ويعد الشاعر الفتيح احد مؤسسي اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ومن الأدباء الذين أسهموا برفد الساحة الثقافية بالعديد من الأعمال الإبداعية وكانوا في طليعة المؤثرين والمعبرين عن تطلعات وهموم الوطن والمواطن عبر شعريته العالية التي تجلت تجربة كبيرة ومثلت مدرسة فريدة في الشعر العامي وتغنى بكلماته عدد من الأصوات .
وصدر له ديوان وحيد، "مشقر بالسحابة"، العام 2004، عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين وله ديوان آخر تحت الطبع بعنوان "سيل الفجر".
ونعى عدد من المؤسسات الثقافية اليمنية أمس الشاعر الراحل محمد عبد الباري الفتيح الذي توفاه الأجل بعد تجربة إبداعية متميزة في الشعر العامي.

السؤال عن الشيء

• صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة ببيروت كتاب: "السؤال عن الشيء: حول نظرية المبادىء الترنسندنتالية عند كَنْت" تأليف مارتن هايدغر، ترجمة الدكتور اسماعيل المصدق.
يمكن للقارىء العربي أن يتعرّف من خلال هذا الكتاب على هايدغر بوصفه مدرّساً للفلسفة، وأن يكوّن صورةً ملموسةً عن إمكانياته الاستنباطية الهائلة وقدرته على أن يربط أفكاراً فلسفيةً عميقةً بسياقات يومية في متناول الطلبة. إنه ينطلق من أسئلة معتادة وينتقل مع طلابه تدريجياً إلى طرح قضايا فلسفية شغلت بال مفكرين مختلفين. تقدّم لنا مطالعة هذا الكتاب أيضاً فكرةً عن الكيفية التي كان يجمع فيها هايدغر بين مهامه الأكاديمية في البحث والتدريس وبين حواراته مع الفلاسفة وبخاصة مع الفيلسوف كَنْت في كتابه نقد العقل المحض.
• مارتن هايدغر (1889-1976): من أهم فلاسفة القرن العشرين. اكتسب شهرةً واسعةً بفضل كتابه الكينونة والزمان (Sein und Zeit) الذي أصدره سنة 1927 وكرّسه لطرح سؤال الكون. الاقتناع الأساسي عند هايدغر هو أن الميتافيزيقا الغربية، التي يعتبرها أساساً حاملاً للتاريخ الغربي برمته، نسيت منذ بدايتها سؤال الكون. هذا النسيان يبلغ ذروته في عصر سيادة التقنية، حيث لم يعد ينظر إلى الكائن إلا كمورّد للطاقة يجب حسابه والتحكم به.
• اسماعيل المصدق: أستاذ الفلسفة في جامعة إبن طفيل في القنيطرة/ المغرب.
يقع الكتاب في 304 صفحات.